تقارن فى الخيال لأسباب مؤدية إليه ، والأسباب فى ذلك متباينة : فمن أسباب تجمع بين صومعة وقنديل وقرآن . ومن أسباب تجمع بين دسكرة وإبريق وأفران على حسب ما تقتضيه العادة . ولصاحب علم المعانى فضل احتياج إلى التنبيه لأسباب هذا الجامع ، فإن من لم يتنبه لمثلها وهو من أهل الحضر أنى يستجلى كلام رب العزة تعالى مع أهل الوبر « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت . وإلى السماء كيف رفعت . وإلى الجبال كيف نصبت . وإلى الأرض كيف سطحت »(١) لبعد البعير عن خياله فى مقام النظر ثم بعده عن السماء وبعد خلقه عن رفعها ، وكذا البواقى .

لكن إذا تنبه لما عليه تقلبهم فى حياتهم(٢) جاء الاستجلاء ، وذلك أن أهل الوبر مطعمهم(٣) ومشربهم وملبسهم من المواشى [١١ ا] فعنايتهم مصروفة لا محالة إلى أعظمها نفعاً وهى الإبل ، ثم انتفاعهم بها لما لم يحصل إلا بأن ترعى وتشرب كان جل مرمى غرضهم نزول المطر ، وأهم مسارح النظر عندهم السماء ، ولما كانوا مضطرين إلى مأوى يؤويهم ولا مأوى [٣٣ ط] ولا حصن إلا الجبال .

لنا جبل يحتله من نجيره منيع يرد الطرف وهو كليل(٤)

---

(١) الآيات ١٧/٢٠ من سورة الغاشية .

يقول الزمخشرى : فإن قلت : كيف حسن ذكر الإبل مع السماء والجبال والأرض ولا مناسبة ؟ قلت : قد انتظم هذه الأشياء نظر العرب فى أوديتهم وبواديهم ، فانتظمها الذكر على حسب ما انتظمها نظرهم .

والمعنى : أفلا ينظرون إلى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق حتى لا ينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا إنذار الرسول ﷺ ويؤمنوا به ، (الكشاف) .

(٢) فى حياتهم ساقطة من د . (٣) فى س ، ط مطعمهم .

(٤) البيت للسموءل بن عادياء ، ديوانه ص ٦٤ . =